

## براعة الرّمخشري في وعظ المسلمين من خلال مقاماته: من منظور علم النّص

نور الحنيلة محمد عصمت

[hanilah@iium.edu.my](mailto:hanilah@iium.edu.my)

الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية

عبد الهادي عبد العزيز

[Ibnuaziz83@gmail.com](mailto:Ibnuaziz83@gmail.com)

جامعة تون حسين عون الماليزية

## الملخص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن اتّساق النّص وانسجامه في مقامات الرّمخشري الوعظية وقدرة الرّمخشري على لفت انتباه القراء في قراءة هذه المقامات. وسيعمد البحث إلى دراسته بتبيان عناصر الاتساق والانسجام في النّص. ويستثمر التّراث اللغوي العربي - وهو البلاغة العربية- ومحاولة ربطه بمعطيات التّظيرية الغربية وفق مفهوم نحو النّص بما يتناسب فيه مع مقامات الرّمخشري. ويظهر هذا البحث إمكانية تطبيق معياري الاتساق والانسجام لمقامات الرّمخشري وبراعة الرّمخشري في وعظ المسلمين بمهدين المعيارين.

**الكلمات المفتاحية:** علم النّص، اتّساق النّص وانسجامه، الرّمخشري، مقامات الرّمخشري، البلاغة العربية.

**Abstract**

This study aims to explore the elements of cohesion and coherence in analysing Zamakhshari's Maqāmāt. The study also made use of traditional Arabic linguistic heritage – al-Balāghah al-‘Arabiyyah - in its text analysis and its relevancy with western textual perspective in the framework of Zamakhshari's Maqāmāt. The study concluded that Zamakhshari utilized cohesive devices such as continuity, reference, repetition, inclusion, substitution; he also used figurative tools in his Maqāmāt such as allegories, metaphors and imageries to persuade and influence readers. Therefore, the application of textuality is excellently applied by Zamakhshari in his works.

**Keywords:** *The Grammar of the Text, Cohesion and text Coherence, al-Zamakhshari, Maqāmāt al- Zamakhshari, al-Balāghah al- 'Arabiyyah.*

## المقدمة: الزمخشري

هو محمود بن عمر بن محمد، وكنيته أبو القاسم (الذهبي، ١٩٨٥، ص ١٥١-١٥٢)، ولقب بجار الله (الفيروز أبادي، ١٩٨٧، ص ٢٢٠) بسبب إقامته في مكة جاورًا البيت الحرام، (الموسوي، ١٣٩٠هـ، ص ١١٨). ولد بزمخشري في يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧هـ (السيوطي، ١٩٨٣، ص ١٠٥)، و ذكر في مصادر التراجم صفة جسمية للزمخشري وهي أنّ رجله اليسرى كانت مقطوعة (اليمني، ١٩٨٦، ص ٣٤٥). وقد قطعت رجله بسبب برد شديد أصابه في بعض أسفاره بناوحي خوارزم، فسقطت رجله من شدة البرد (الكتبي، ١٩٩٦، ص ٣٧٩).

أما الجانب الخُلقي فقد أُثِرَ عنه بأنّه كان قويمَ الأخلاق وحسنها، كما كان صالحًا (العسقلاني، ١٩٧١، ص ٤). توفي الزمخشري بمرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ٥٣٨هـ (السيوطي، د.ت.، ص ٣٨٨).

أما رحلته العلمية فقد ارتحل إلى بخارى على مقربة من خوارزم مرارًا، (ابن خلكان، ص ١٧٠)، وارتحل أيضًا إلى خراسان والتقى هناك بالكثير من الكُتّاب والمصنّفين (الذهبي، ص ١٥٥). وبعد ذلك، اتّجه إلى أصفهان عاصمة السلاجفة، وكان ملكها محمد بن أبي الفتح ملك شاه مشهورًا بالعدل، وحسن السيرة، والشجاعة، وحبّ العلم، وإكرام العلماء (ابن الأثير، ١٩٩٧، ص ٣١٨).

واللافت للانتباه بهذا العالم أنّه لم يكن مبرزًا في علم واحد بل برز في عدّة فنون، فقد كان نحويا فاضلاً (ابن كثير، ١٩٩٧، ص ٢١٩)، وسمع الحديث وتفقه وصار إمام عصره في عدّة علوم (ابن تغري، د.ت.، ص ٢٧٤) حتى لقب فخر خوارزم (السيوطي، ١٩٧٩، ص ٣٨٨). "وكان الزمخشري أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه و أكثرهم أنسًا واطلاعًا على كتبها وبه ختم فضلاؤهم" (الفطحي، ١٩٨٢، ص ٢٧٠). وبما أنّه عالم فذّ في اللغة، والنحو والأدب فتبيّنت هذه السمات في دراساته النحوية حيث إنّهُ ينظر إلى علاقة النحو بالمعنى والبلاغة، وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العلمين﴾ (الفاحة: ٢)، ويقول في الكشاف: "ارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو ﴿الله﴾ وأصله النَّصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنّه من المصادر التي تنصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار، كقولهم: شكرًا، وكفرًا، وعجبًا... والعدل بها عن النَّصب إلى الرَّفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره..." (الزمخشري، ١٩٦٦، ص ٢٨٨) وهنا تبرز براعة الزمخشري إذ لا يرى النحو علمًا جامدًا دون حمل أيّ معنى وإتّما يحاول الرّبط بين النحو والبلاغة والمعنى.

قد ألف الزمخشري كتبًا كثيرة وهي أساس البلاغة والأسماء في اللغة والأجناس وأطواق الذهب وأعجب العجب في شرح لامية العرب والأماي في النحو والأنموذج في النحو و تسلية الضير وتسلية المبتدي وإرشاد المقتدي والجمال والأمكنة والمياه وجواهر اللغة وحاشية على المفصل وخصائص العشرة الكرم البررة والدر الدائر المنتخب في كتابات واستعارات وتشبيهات العرب وديوان التمثيل وديوان خطب وديوان رسائل وديوان الزمخشري والرائض في الفرائض ورؤوس المسائل في الفقه وريع الأبرار ونصوص الأخبار ورسالة الأسرار ورسالة في كلمة

الشهادة ورسالة المسأمة والرسالة النَّاصحة وسواثر الأمثال وشافي العي من كلام الشَّافعي وشرح أبيات كتاب سيوييه وشرح المفصَّل وشرح مقامات الرَّمَّحَشْرِي (وهو مطبوع مع المقامات) وشقائق النَّعمان في حقائق النَّعمان وصميم العربية وضالة الناشد وعقل الكل والفائق في غريب الحديث والأثر والقسطاسفي في العروض والقصيدة البعوضية وقصيدة في سؤال الغزالي: كيف يجلس الله على العرش والكشَّاف والكشف في القراءات العشر ومتشابه أسامي الرِّوَاة ومختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة والمحاجة في المسائل النَّحوية والمستقصى في أمثال العرب ومعجم الحدود ومعجم عربي فارسي والمنهاج في الأصول، والمفرد والمؤلف في النَّحو والمفرد والمركب في العربية والمفصَّل ومقدمة الأدب ونزهة المستأنس والنصائح الكبار ونكت الأعراب في غريب الإعراب ونواع الكلم (السامرائي، ٢٠٠٩م).

ومَّا سبق تبيَّن أنَّ الرَّمَّحَشْرِي يمتَّع بمكانة علمية مرموقة إذ أَلَّف في مختلف دروب المعرفة التي كانت شائعة في عصره من علوم دينية ولغوية وبلاغية وأدبية وغيرها. ولعلَّ المصنَّفات المختلفة التي كتبها الرَّمَّحَشْرِي تشير إلى حرصه الشديد على طلب العلم والاكتناه في جلِّ العلم ليكتشف الحقائق الموجودة فيه. ومن ثَمَّ تبيَّنت براعته في كتاباته بالنظر إلى قدرته الكبيرة على التَّمكَّن في استيعاب العلوم في مجالات مختلفة و بثَّ آراءه المتميزة في كثير من الفنون العربية ومنها فن المقامات.

#### مقاماته

قد ظهر فنَّ المقامات في القرن الرَّابِع للهجرة - في أواخر العصر العبَّاسي -، واقتزن اسم بديع الزَّمان الهمداني (ت ٣٩٨هـ) بهذا الفن لكونه أوَّل من أَلَّف فيه. فالمقامة بمعناها اللغوي "المجلس، ومقامات النَّاس: مجالسهم" (ابن منظور، ١٩٩٤، ص ٣٧٨). وأصبح هذا المعنى اللغوي يتطوَّر إلى اصطلاح جديد على مرَّ العصور حيث يغدو معناها: "...حكاية أدبية قصيرة يدور أغلبها حول الكدية والاحتيال لجلب الرِّزق وتشمل على نكتة أدبية تستهوي الحاضرين" (عوض، ١٩٧٩، ص ٨). وتكون كلمة المقامة قد نسبت إلى الهمداني في طرزها ورسومها وتلاه الحريري وهو أبو محمَّد القاسم بن علي الحريري (ت: ٥١٦هـ) الذي نسج على منواله، وألَّف مقاماته المشهورة بنمط تجاوز فيه أستاذه (البديع) في التصنيع اللفظي والسبك والموضوعية (حسن، ٢٠٠٨، ص ١).

يعدُّ كتاب المقامات للرَّمَّحَشْرِي من كتبه الشهيرة، وفيه واحد وخمسون مقامةً، وهذا الكتاب عبارة عن نصائح وإرشادات وجدانية على شكل مقالات (عثمان، ٢٠١١، ص ١-٢). وكان الرَّمَّحَشْرِي يلتزم بالسَّجع في مقاماته الوعظية (بحيري، ٢٠١٠). ولقد أَلَّف هذا الكتاب حين استدعاه في بعض إغفاءات الفجر التي أَلَّت به صوت قائلاً له: "يا أبا القاسم! أجل مكتوب وأمل مكذوب" (الرَّمَّحَشْرِي، ١٩٨١). فهب من نومه وضم إلى هذه الكلمات ما ارتفع بها إلى إقامة. ثم أنشأ أخوات لها فلائيل، ثم انقطع عن الكتابة فترة من الزمن حتى أصيب بمرضه التي اعتبرها مندرة له عام ٥١٢هـ. فألَى على نفسه أن يهرج إن شفاه الله بهرج الدُّنيا ويكف عن باب

السّلطان وأن يأخذ نفسه بالشدة حتّى تكون توبته نصوحًا كما يتّجه إلى عمل الخير الذي يرضى الله عزّ وجلّ مبتعدًا عن بهارج الحياة وزينتها (الرّمخشري، ١٩٨١).

ولو تفحصنا عنوانات مقاماته لوجدناها كلّها تدلّ على موضوعة الوعظ وإن كانت بعضها لا تبدي بوضوح. وهذه العنوانات هي: مقامة المرشد والتّقوى والرّضوان والإرعواء والرّاد والرّهّد والإنابة والحذر والاعتبار والتسليم والصّمت والطّاعة والمنذرة والاستقامة والطيب والقناعة والتوقّي والظّلف والعزلة والعفة والنّدم والولاية والصّلاح والإخلاص والعمل والتّوحيد والعبادة والتّصبّر والخشية واجتناب الظّلمة والتّهجد والدّعاء والتّصدّق والشّكر والأسوة والنّصح والمراقبة والموت والفرقان والنّهي عن الهوى والتّماسك والشّهامة والحمول والعزم والصّدق والتّحو والعروض والقوافي والدّيوان وأيام العرب (الرّمخشري، ١٩٦٦ م)

وقد وضع الرّمخشري المقامات الخمس الأخيرة بعنوانات بعيدة عن الوعظ وهي: مقامة النّحو والعروض والقوافي والدّيوان وأيام العرب. وإن كانت هذه العنوانات الخمس لا تدلّ على الوعظ مباشرةً إلاّ أنّها تشير إليه معنويًا حيث وظّف الرّمخشري مصطلحات تلك العلوم في وعظ نفسه. وقد أفاد من أحداث أيام العرب وشخصها واستخلص منها الموعظة والاعتبار (حسن، ٢٠٠٨، ص ٥٥).

قد يوظّف الرّمخشري الشّعري إلى جانب النثر في بعض مقاماته لتحليلته وتلخيص بعض المواقف وتجسيمها، (الرّمخشري، ١٩٦٦، ص ٨) كما ورد ذلك في مقامته المراقبة إذ يقول:

"وَكُنْ رَجُلًا مَا سَرَّ مَا هُوَ مُعْلَنٌ  
مَنْ الْخَيْرِ إِلَّا دُونََ مَا سَرَّ مَا أَسَرَ  
فَمَا قِصَبَاتِ الْمَخْلُصِينَ مَحْزُونَةٌ  
بِمَثَلِ خَفِيَّاتٍ يُصَعَّرْنَ مَا ظَهَرَ"

وها هنا، يختم الرّمخشري بأبيات من الشّعري لتلخيص موضوع مقامته "المراقبة"، فإنّه ينظّم أبيات الشّعري ظلّ الموضوع حتّى تكون مقاماته أكثر وضوحًا وتوضيحًا.

وأشار حستان حمزة (عثمان، ٢٠١١) إلى أنّ مقامة النّحو في مقامات الرّمخشري تسعى لخدمة العلوم الإسلامية حيث قال: "فالمعطيات محسومة ولم يكن ترتيب مقامة النّحو في المرتبة السادسة والأربعين في الترتيب العام للكتاب عرَضًا، فهي تمثّل همًّا عند الكاتب بفتح طريق للمقامات المتخصصة لكي يُسَخَّر معارفه وعلومه التّقنية ليضعها في خدمة العلوم الإسلامية التي ترفد الكتاب بكامله" (عثمان، ٢٠١١، ص ٧٢). ومن خلال مقامة النّحو أستشف أنّ الرّمخشري كان مولعًا بعلم المصطلح، وحسن الاستفادة من تحديد وظائفها ومعانيها كما بدا ذكاؤه في توظيف علم النّحو توظيفًا جيّدًا.

والملاحظ أنّ مقامات الرّمخشري تتأثّر بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية غير أنّ هذا التأثير لم يكن القصد منه تجريد التوشيح والزخرفة (وي، ١٩٩٧، ٩٨) بل كان ليسعى إلى هدفه النبيل كما ورد في مقاماته: "يا أبا القاسم إنّ الذي خلقك فسوّاك. ربّك فيك عقلك وهواك. وهما في سبيل الخير والشر دليلاك. وفي مراحل الرّشد والغيّ نزيلاك." (الرّمخشري، ١٩٦٦، ص ١٩٤) ف "خلقك فسوّاك" من الآيات القرآنية، اقتبسهما الرّمخشري ليصل هدفه وهو الوعظ.

ويرى أحمد الحوفي بأنّ مقامات الرّمخشري محاكاة لمقامات الحريري في الأسلوب المسجّع الحافل بالمحسنات غير أنّها تخالفها في الموضوعات والغاية: "وهي - مقامات الرّمخشري - وإن خالفت مقامات الحريري في الموضوعات والغاية، فإنّها محاكاة لها في الأسلوب المسجّع بالمحسنات". (الحوفي، ١٩٦٦، ص ٢٧٧) وأرى أنّ الرّمخشري ما زال يحافظ على فنّ المقامات غير أنّه كتب عن الموضوعات المختلفة. وكان أبرز الموضوعات-من خلال عنواناتها كما سبق ذكرها- التي دارت حولها مقامات الرّمخشري بما تشتمل عليه من نصائح ومواعظ يعظ بها الرّمخشري نفسه.

وينطوي تحت هذا المضمون العام عديد من المضامين المرتبطة به وهي محاسبة النفس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والزهد والبعد عن ملذّات الدّنيا والبعد عن المعاصي والتحلّي بالأخلاق الفاضلة والتقوى والاستقامة والطاعة والتّوجّه إلى الله (وي، ١٩٩٧، ص ٤٦-٦). وخطاب النّصح والوعظ والإرشاد يوجهه لنفسه ليكون عبرة لغيره. وهذا هو من الأساليب النّصيحة التي يستخدمها الرّمخشري في إبداء نصائحه إلى الآخرين لتكون قبولاً في نفوسهم.

وفي هذا الصّدّد أرى أنّ الرّمخشري كان يحدّد هدفه في كتابة المقامات من خلال هذا التعريف من عنده. ولذا، لا نستطيع القول بأنّ مقامات الرّمخشري تخرج عن مفهوم فنّ المقامات. وعليه، فإنّي وجدت أنّ الرّمخشري قد وُظّف جانباً إبداعياً في عمله. ولعلّ استقلالته في كتابة المقامات عن منوال الآخرين جزء من أعماله الإبداعية لوعظ المسلمين إلى عمل الخير وتجنب عن الشرّ.

## علم النّص

بدأ هذا العلم في أواخر السّتينيات، ويعتمد على مفهوم "الجشّالت" المتعارف عليه؛ (أبو زنيد، ٢٠٠٩، ص ١) إذ إنّّه يبدأ باستشراق النّص بمجموعه، ويندرج في استكشاف بناه الكبرى فالصّغرى بما هو خطاب ينتظم في رسالة تامّة، ويركّز في بحثه لنصّيّة النّص على التّماسك النّصيّ؛ وهو قائم على علاقات اتّساق بين الوسائل اللغوية التي تصل بين العناصر المكوّنة للنّص وعلى علاقات الانسجام التي تشمل العلاقات المعنوية الظّاهرة والمخفية والمعطيات المشكّلة لإطار تلقي النّص. فالتماسك النّصيّ هنا يقصد به الاتّساق والانسجام كما أشار الفقي في كتابه ((علم اللغة النّصيّ بين النّظرية والتّطبيق)) إذ إنّّه بيّن "أنّ المصطلحين cohesion و coherence يشيران إلى التّماسك النّصيّ، ولا ينفصلان كما أنّهما أهمّ شيء بالنّسبة للتّحليل النّصيّ حتّى بعض الباحثين عدّهما شرطاً ضرورياً وكافياً للتعرف على ما هو نصّ وعلى ما ليس نصّاً". (الفقي، ٢٠٠٠، ص ٩٦)

وفي صدد علم النّصّ، فنّمّة معايير نصّيّة وضعها عالمان مشهوران في مجال علم النّصّ؛ وهما "دي بوجراندي De Beaugrande و "درسلر" Dressler حيث يريان "أنّ النّصّ حدث تواصلية، يلزم لكونه نصّاً أن تتوافر فيه سبعة معايير نصّيّة مجتمعة، قاما بشرحها بالتفصيل عبر ٦٥ صفحة (De Beaugrande & Dressler, 1981، 14-79). وهذه المعايير باختصار، هي:

- ١- السبك (Cohesion): وهو التماسك الشديد أو التلاحم بين أجزاء النص.
- ٢- الحبك (Coherence): يتمثل في الترابط الرصفي للجمل وعبارات النص.
- يعدّ هذان المصطلحان أهم معايير نصّية، وكثرت الترجمات حول هذين المصطلحين.
- ٣- المقصدية (Intentionality): هو يرتبط بمستخدم النص لا بمادته على نحو ما في المعيارين السابقين. والمقصدية هي التي تجعل لعمليّة التّوصيل النّصيّ فاعلية، ويحتوي مفهوم المستخدم على كلّ من منتج النصّ ومستقبله.
- ٤- الإعلامية (Informativity): يختص بمدى توقّع الأحداث المعروضة في النصّ أو عدم توقّعها، والإحاطة بهذه الأحداث أو الجهل بها. ولا بدّ لأيّ نص من أن يكون إخباريًّا على نحو آخر، مهما كانت صورة الإخبار والمضمون المخبر عنه.
- ٥- المقامية (Contextuality): يختص بالعوامل التي تجعل النصّ مناسبًا لموقف الحدث وظروفه؛ فليس مناسبًا مثلاً أن نقرأ إرشادًا من إرشادات المرور يقول: ((أسرع، منطقة سكنية؛)) فالمناسب لموقف الحدث هنا هو تهدئة السرعة لا الأمر بها. ويطلق عليها الموقفية، واشتهر هذا المفهوم عند العرب: لكل مقام مقال.
- ٦- التقبيلية (Acceptability): يرتبط بسلوك مستقبل النصّ، بحيث تصبح مجموعة الأحداث التي تكون نصًّا متماسكًا متألّفًا مقبولة عند المستقبل، يستقى منها معرفة من نوع ما.
- ٧- التّناس (Intertextuality): يختص ببحث علاقة النصّ بنصوص أخرى، والعوامل التي تجعل استخدام النصّ معتمدًا على ما يقدّمه نص أو نصوص سابقة من معرفة، فهو إذن عبارة عن حوار النصّ مع نص أو نصوص أخرى تتداخل في تحديد القواعد التي تحكم مضمونه وتواجهه.
- وهكذا المعايير النصّية التي وضعها "دي بوجراندي" De Beaugrande و "درسلر" Dressler، إذ تتحقّق بها نصّية النصّ إذا اجتمعت له سبعة معايير. ويبدو عبر هذا النقاش بأنّ علم النصّ مهامه كبيرة في استجلاء النصّ مجالاً للدراسة، ويتمّ ذلك من كشف علاقات داخل النصّ وخارجه ممّا يتطلّب السياقات المختلفة في عمليّة تحليل النصّ.
- ويمثّل الاتّساق والانسجام أهمّ معلمين من معالم نصية النصّ، "وغالبًا ما يبحث اتّساق النصّ قبل انسجامه؛ لأن دراسة الاتّساق هي جزء من دراسة تحقّق الانسجام، فبعض القرائن اللفظية يجعل من نص ما منسجمًا كما يمكن أن يتحقّق الانسجام دون وجودها، إذ تكون عندئذ مظاهر الانسجام تأويلية لا لغوية؛ ويقصد عادة بالاتّساق: ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته" (خطّابي، ٢٠٠٦، ص ١٠٩). وبيّن لنا أنّ

الاتساق والانسجام بوصفهما التماسك النَّصِّي قد أخذوا حيز الأكبر في البحث النَّصِّي ولا نقول بأنّ المعايير الأخرى ليست مهمّة إلاّ أنّهما متداولان بين النَّصِّيِّين، فوجدنا بعضهم يطلق الاتساق على السبك، والربط والتّضام، والتّماسك، والتماسك الشكلي كما يطلق الانسجام على الحبك، والالتئام، والتقارن، والتماسك الدلالي. ولعلّ هذه المسمّيات المتعدّدة تشير إلى أنّ هذين المعيارين من أشهر المعايير المتداولة في البحث النَّصِّي. والمراد بالاتساق هو معيار يهتم بظاهر النَّص، ودراسة الوسائل التي تتحقّق بها خاصية الاستمرار اللَّفْظي. أمّا الانسجام فهو يهتم بالمعنى، ويقوم السّياق بدور عظيم في انسجام النَّص. ولو تفحصنا معالجة هذين المعيارين لوجدنا معالجتهم تباينت من باحث لآخر. فقد "عالج هاليداي ورقية حسن الاتساق بشكل مفصّل في كتابهما ((الاتساق في اللغة الإنجليزية))، وعالج كل من "فان دايك" و"براون" و"يول" الانسجام دون أن يعنوا بالتّفصيل الدقيقة للاتّساق؛ ولكن معالجتهم أثبتت أن التّماسك النَّصِّي - الذي يبينه الاتساق والانسجام - ليس مجرد خاصية تجريدية للأقوال، كما أنه لا يتحدد على مستوى علاقات الترابط بين المتتاليات والجمل فحسب، وإنما عن طريق البنية الكبرى التي استند إليها هاليداي وطوّرها فان دايك" (أبو زيد، ٢٠٠٠، ٤٣-٤٤). وتجدد الإشارة إلى أنّ كلّ من "هاليداي" ورقية حسن قد عالج الاتساق معالجة دقيقة، أما "براون" و"يول" و"فان داك" اهتموا بالانسجام في غاية الأهمية كما عنوا بعناية كبيرة بالسّياق.

فالتحليل النَّصِّي "يبدأ من البحث في تحقّق البنية الكبرى فعلياً، عن طريق الاتساق والانسجام" (أبو زيد، ٢٠٠٠، ص ٤٤). ومن هنا، يتبيّن دور الاتساق والانسجام في تحقّق البنية الكبرى أو المعنى العام في النَّص. ولذا، يطلق عليهما أهمّ المعايير في تحليل النَّص. وتبدو للباحثة أنّ الانسجام له نطاق أوسع وأعمق وأرحب من المعايير النَّصِّيّة الأخرى إذ أنّه قد يعالج معياري القصدية و التقبلية بالنّظر إلى اعتماده على التّأويل في الدّرجة الأولى بما يتطلّب من ذلك عنصر السّياق و المقام. وبما أنّه يوظّف التّأويل، والسّياق، والمقام في عمليّة تحليل النَّص، فإنّه سيعالج قصدية النَّص وتقبلية نوعاً ما مع العلم بأنّ البنية الكبرى تتحقّق عن طريق الاتساق والانسجام معاً. فالبنية الكبرى تتعلّق بالموضوع الكلّي للنّص حيث يغطّي قصدية النَّص (قصدية الكاتب) وتقبلية المتلقّي. فتتبلور سعة معيار الانسجام في تحديد البنية الكبرى للنّص. وفي هذا المقام، يمكن القول بأنّ الاتساق والانسجام لهما دور في تحديد البنية الكبرى غير أنّ الانسجام أكثر قدرةً من الاتساق على القيام بتحديد البنية الكبرى إذ أنّه يوظّف التّأويل، والسّياق، والمقام في تفسير النَّص، أمّا الاتساق فإنّه يتعلّق بالترابط بين الجمل من خلال الوسائل اللغوية مثل الفصل والوصل، والحذف، والاستبدال، والتكرير، والتّضام. وبدا جليّاً أنّ مجال الانسجام أوسع من الاتساق في تحديد البنية الكبرى كما أنّه يمثّل أهمّ المعايير النَّصِّيّة وأعمقها.

## البلاغة العربية

ترتبط البلاغة والاتّصال ارتباطاً قوياً. فالاتّصال يتضمّن ثلاثة أركان مهمّة وهي: "المرسل، والرّسالة، والمستقبل" (الغيث، ٢٠٠٠، ص ٣١). وكذلك البلاغة تهتم بفكرة مراعاة المقام والحال التي تشمل عناصر التّخاطب؛ المرسل، والسّامع، والرّسالة.

ومن الباحثين من ربط بين البلاغة العربية وبعض الاتجاهات التّقديّة واللّسانية الاجتماعيّة المعاصرة التي تتعامل مع اللغة بصفّتها أداة اتّصال، فمنهم شكري المبخوت ومحمّد العمري حيث ركّز الأوّل على الكشف عن اهتمام النّقاد والبلاغيّين العرب بالمتقبل مستشهداً على ذلك ببعض تعريفات البلاغة الدّالة على أهميّة محور المتقبل في تحديد نجاعة الكلام البليغ وعملية التّواصل الأدبي، بينما أشار الدكتور محمد العمري إلى أهميّة فكرة مراعاة المقام والحال في البلاغة العربيّة بوصفها عنواناً للعلاقة بين الخطيب والمستمع (عبد المجيد، ٢٠٠٠، ص ١٦). وعلى الرّغم من أنّ البلاغيّين العرب لم يهتموا كثيراً بالدراسة التّفسيّة والأخلاقيّة للمرسل والمتلقّي، فإنهم حاولوا أن يدرجوا ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه، أو ما ينبغي له أن يراعيه من أحوال المستمعين تحت عنوان المقام والحال (عبد المجيد، ٢٠٠٠، ص ١٦).

وهكذا تملك البلاغة العربيّة طاقةً قادرّة على التّوغل في عالم النّص وتقصّي دلالته الكليّة. ولذا قرّر عبد البديع عبد الكريم أنّ "البلاغة ونحو النّص (علم النّص) كليهما يسعيان إلى إيجاد قواعد للنّص،" (عبد الكريم، ٢٠٠٨، ص ١٢٦). فالبلاغة ليست قوالب جامدة لا تقبل التّكسير وإتّما تتمكّن من أن تقوم بمختلف الوظائف في سبر أغوار الاتّصال كما يقوم به علم النّص لأنّ البلاغة العربيّة كما ذكر الرّماني (د.ت) في كتابه ((النكت)): "وإنّما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ". وبين عبد القاهر الجرجاني أنّ مجال البلاغة التّعبير عن فضل القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السّامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم (الجرجاني، ١٩٤٨، ص ٣٤-٣٥).

ولا غبار أنّ للبلاغة العربيّة كما بيّنها الرّماني والجرجاني صلة قويّة بمجال الاتّصال الذي يتمحور حول المرسل والمتلقّي والنّص. وبالتالي فهي تسهم في فهم النّص. والنّص هنا يعود إلى النّص الأدبي الذي يوظّف كثيراً من الأدوات البلاغيّة مثل علم البيان (التّشبيه والمجاز والاستعارة والكناية) ولا يستطيع أحد أن يفهم ذلك النّص، ويفسّره، ويؤوّل دون اكتناه هذا العلم، وهو عبارة عن آليّة فهم النّص وتفسيره.

وقد بيّن الرّمخشري أنّ استعمال علم البيان بمختلف شعبه في نظم الكلام هو سبيل من أهمّ السبيل للارتقاء من كلام عاديّ جائز خلوّه من علم البيان إلى كلام فنيّ راق يسعى المرسل فيه عن طريق المجاز إلى التّأنق في العبارة والإبداع في طرائق التّعبير (الخطلاوي، د.ت، ص ٥٨٥).

ومن هنا، بدأ المتلقّي يبحث عن قصد المرسل ونواياه من هذا الكلام؛ وفي الوقت نفسه سيؤثّر هذا الكلام الرّاق في نفوس المتلقّي بسبب انشغاله بتوصيل هذا المعنى إلى ذهنه بغية فهمه، وتفسيره. فهذه العملية التّواصلية تجعل علم البيان وسيلة من وسائل فهم النّص وتفسيره.



وقد أشار الجاحظ إلى تعريف علم البيان وهو: "اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى، وهنّك الحجاب دون الضمير، حتّى يُفْضِي السّامع إلى حقيقته، ويهجم على محموله، كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنسٍ كان الدليل؛ لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسّامع، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع" (الجاحظ، ١٩٨٥، ١/٧٦).

وقد أوضح الجاحظ هنا أنّ غاية علم البيان الفهم والإفهام، من المتلقّي والمرسل، فعلى المرسل أن يقوم بدور إفهام المتلقّي بطريقة معيّنة، أمّا المتلقّي فيقوم بعملية فهم هذا الكلام.

وعلم البيان (التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية) كما عرّفه السّكاكي هو "إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالتقصان ليحتز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه" (السكاكي، ٢٠٠٠، ص ٢٤٩). وبيان ذلك أنّ هذا العلم يقدّم الدلالة إلى المتلقّي أو السّامع بطرائق متعدّدة ومختلفة. وقد حدّد السّكاكي الدلالات في ثلاثة أنواع:

١- دلالة مطابقة: هي "الدلالة الوضعية يتطابق فيها اللفظ مع معناه، كدلالة الأسد على هذا الحيوان المعروف؛ والذي ما يسمّيه المفهوم الأصلي" (سلفاوي، ٢٠٠٩، ص ٥٣٠) أي: الدلالة العادية دون توظيف أي عملية للتأويل والفكر العميق.

٢- دلالة التّضمّن: "دلالة عقلية، وتكون متى كان للمفهوم الأصلي تعلق بمدلول آخر داخل فيه، كدخول السّقف في مفهوم لفظ البيت" (سلفاوي، ص ٥٣٣). فهنا يوظّف المتلقّي عملية التأويل للوصول إلى المعنى المراد لأنّه خارج عن المعنى العادي.

٣- دلالة الالتزام: "دلالة عقلية، وتكون متى كان للمفهوم الأصلي تعلق بمدلول آخر عقلي خارج عنه إلاّ أنّه لازم له كمفهوم السّقف فإنّه لا يدخل في معنى الحائط، ويكفي أن يُذكر لسقف ليلزم أن يكون هناك حائط، وبذلك ينتقل العقل إلى الحائط عند سماع كلمة السّقف" (سلفاوي، ص ٥٣٣). وهذه الدلالة تتطلب عملية التأويل بعمق لأنّها تتعلّق بمعنى أدق.

وتتبدّى أهمية الدلالات العقلية في علم البيان إذ أنّه يتطلّب توظيف العقل في الوصول إلى المعنى المراد من المرسل. ف"إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة" يتأتّى في "الدلالات العقلية" لأنّ العقل ينتقل فيها من معنى إلى معنى آخر من جِراء علاقة بينهما. وقد أشار السّكاكي إلى أنّ هذا التّعلّق قد يكون ممّا يثبت اعتقاد المخاطب/ السّامع/ المتلقّي، ويكون ذلك الاعتقاد إمّا راجعاً لم تعارف عليه في العرف، أو لغير العرف؛ كأن يكون أمراً تخيلاً أو توهماً، وبذلك يطمع المرسل أن يستطيع المخاطب الانتقال من المفهوم الأصلي إلى المعنى المقصود بوساطة ذلك التّعلّق في اعتقاده.

والملاحظ هنا أنّ المخاطب يحاول الوصول إلى المعنى المقصود بناءً على اعتقاده بعد حسن توظيف عملية التأويل بغية فهم هذا المعنى. أمّا المرسل فهو يبني صورته البيانية على أساس هذا الاعتقاد الذي يضمن

صحّة أو نجاح المخاطب في الوصول على المعنى المقصود، فتتلور أهميّة الاعتقاد أو عملية التّخمين من المخاطب والمرسل.

فغاية علم البيان إذاً "لتحقيق مراد وقصد المرسل بطريقة تأثر في السّامع وتمكينه من المعنى المقصود" (سلفاوي، ٢٠٠٩، ص ٥٢٩). والملاحظ هنا أنّ علم البيان يهتم بعناصر التّخاطب؛ تحديد قصد المرسل ونواياه، ومراعاة حال السّامع وظروفه وشروط نجاعة الرّسالة، وهي من الأبعاد التّداولية. وهذه الأبعاد التّداولية تتجسّد عن طريق النّص بعدّه فعلاً تواصلياً، وفي إطار هذه العلاقة يتمّ الرّبط بين النّص وسياقه التّداولي. ويشترط على المرسل أن يراعي المتلقّي عند استعماله الصّور البيانية؛ كوجه الشّبه مثلاً حتى يستطيع المتلقّي فهمه، وإلاّ فإنّ تأثيره في المتلقّي سيلغى، ولن يستطيع الوصول إلى قصد المرسل ونواياه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا العلم يعني بالانزياح الدّلالي، وهو يؤدّي دوراً مهمّاً في التّواصل بين البشر لأنّ دور المتلقّي في عملية التّواصل يتخطّى الاعتماد على الكلام المنطوق إلى اكتناه وراء ذلك، ولا يكفي لأحد أن يفهم الصّور البيانية بمجرد النّظر إليها سطحياً، فلا بد أن يتعامل معها بالفحص والدّقة للوصول إلى معنى المراد وإلاّ سيفشل في الرّبط بين أفكار النّص ويؤدّي ذلك إلى عدم انسجام النّص. فعلم البيان "ليس قضيّة بلاغية فحسب، بل هو قضيّة منطقية أيضاً" (عبد المجيد، ٢٠٠٠، ص ٥٢٩). إن التّعامل مع النّص الأدبي العربي مثل مقامات الرّمخشري يتطلّب من المتلقّي أن ينظر بدّقة من جملة إلى أخرى في فهم هذا النّص لضمان انسجام النّص، ولذا جاء علم البيان بعدّه وسيلة من وسائل الانسجام لما له صلة قويّة بعملية التّواصل؛ المرسل، والمتلقّي، والنّص. (محمّد عصمة، ٢٠١٦). فعملية التّواصل هي "الوظيفة الأساسية في أغلب النّصوص، بل إنّ النّص نفسه وحدة تواصلية، وهي الوظيفة الأولى للغة" (السّعيد، ٢٠١٤، ص ٥٤٣-٥٤٤).

وعليه، يسهم علم البيان في فهم النّص في المستوى التّداولي حيث يُلحظ إنّ الانسجام تتعلّق بعملية تفسير النّص وتأويله؛ أي تفسير أو تأويل من المتلقّي تجاه قصد المرسل.

ويتّضح أنّ مجال علم البيان واسع وهو يرتبط بالدّلالة والتّداولية، ومن هذا المنطلق، أرى أنّ علم البيان (التّشبيه والمجاز والاستعارة والكناية) يليق بأن يكون من وسائل الانسجام بالنّظر إلى أنّه يسهم في فهم النّص وتأويله خصوصاً في نصّ المقامات.

## أنموذج التحليل النّصي في مقامات الرّمخشري الوعظية

### مقامة الإرعواء

يا أبا القاسم شهوتك يَفْطَى فَأَمْنُهَا. وشبابك فُرْصَةٌ فَاغْتَنِمْهَا. قبل أن تقولَ قد شابَ القُدّالُ. وسكتَ العُدّالُ. اكفُفْ قليلاً منْ عَرَبِ شَطَارَتِكَ<sup>١</sup>. وانتَه عنْ بعضِ شرّارتِكَ. حينَ عيدانُ نشاطِكَ تُخْفِقُ. وألسنةُ عُدّالِكَ تنطِقُ. وغيونُ العَوّاني. إليك رَوّاني. وعُوذُك رَيّانُ. وظلُّك فَيّنانُ. وخطيئةُ فدكَ عَسّالة. وفي عَمْرُو<sup>٢</sup> قَوْتِكَ بسالة<sup>٣</sup>. ثمَّ إِيّاكَ أن تنزلَ على طاعةِ هواك في الاستنامةِ إلى الشيطانِ وخطراتِهِ. والرّكونِ إلى اتباعِ خطواتِهِ. فإنّ منْ تسويلاتِهِ لك.

وتخييلاته إليك. أن لآت؛ حين ارعوا. وأين عنك زمان الانتهاء. على رسلك ° حتى ينحني غصن القامة. ويبرق ضلع الهامة. وترى التّومة ثغامة<sup>٦</sup>. فأما وميعة<sup>٧</sup> الشّبية معك. فإن صاح بك واعظ فلا أسمعك. هذه حباله ومصايد. وحيلة ومكايدة. والعجب من نفسك أنها تستلذ الوقوع فيها. وإن لم ترجّ الخلاص منها.

## وسائل الاتّساق

الوصل:

وردت أداة الوصل (الواو) التي تصل بين الجمل في موقف نصح الرّمخشري للنفس: ((... وشباؤك فُرصة... وسكت العُدال... وانتَه عن بعض شرارتك... وعيون العواني... وعوذك ريان. وظلك فينان. وحطية قدك عسالة. وفي... والركون إلى اتباع خطواته... وأين عنك زمان الانتهاء... ويبرق ضلع الهامة. وترى التّومة ثغامة. واعظ فلا أسمعك... والعجب من نفسك أنها تستلذ الوقوع فيها. وإن لم ترجّ الخلاص منها))<sup>٨</sup>، وسلسلة من متتاليات أداة الوصل تجعل المتلقي يركّز على قراءة هذه المقامة من أولها إلى نهايتها ويشعر بأنه نصّ متّسق ومتماسك. وأما الوصل بين الجمل بالفاء من قول الرّمخشري: ((وشباؤك فُرصة فاغتمها...))<sup>٩</sup>، حيث ربطت هذه الأداة بين الجمل ودلّت على التعقيب؛ أي بعد أن يتحدّث الرّمخشري عن فرصة الفترة الشّبابية، كان يدعو المتلقي إلى انتهازها. فالعطف بين هذه الجملة يحقّق اتّساق النصّ لدى المتلقي وهو يربط الكلمات، والجمل، حتى يكون النصّ مسبوغًا.

## الإحالة:

والملاحظ استعمال الرّمخشري متتاليات ضمير المخاطب (ك) كما في قوله: ((شهوئك، شباؤك فُرصة فاغتمها... شطارتك. وانتَه عن بعض شرارتك. حين عيدان نشاطك تخفق. وألسنة عُدالك تنطق. وعيون العواني. إليك رواني. وعوذك ريان. وظلك ريان))<sup>١٠</sup>... حيث يستشعر المخاطب في النصّ أنه هو المقصود بهذه الأقوال، وأنّ الضمير فيها موجه إليه ويحيل عليه، ومحتوى القول يعينه هو، ولا يعني المخاطب يشير إلى الرّمخشري فحسب وإمّا إلى القارئ أيضًا. وهذا الوصل قادر على الرّبط بين الجمل ويجعل المتلقي يتفاعل مع النصّ تفاعلاً جيّدًا، إذ يفهم المتلقي بأنّ الفترة الشّبابية هي فترة زمنية صعبة ذات تحديات وعليه أن يحسن استخدام العقل الذي أعطى الله له لاختيار بين الخير والشر، والمحمودة والمذمومة.

وثمة الإحالة باسم الإشارة (هذه) في قول الرّمخشري: ((هذه حباله))<sup>١١</sup>، وهذا اللفظ الإشاري يحيل إلى تسويلات الشيطان وتخييلاته. فالإحالة باسم الإشارة تعتمد على مقصد المرسل في مقام الاستعمال وتساعد المتلقي على ربط نصّ هذه المقامة لذلك أضطرّ المنتج، لأنّه ناقل للمقام الاتّصالي الذي تمّ فيه هذا النصّ، إلى إضافة كلمة (حباله) بعد ضمير الإشارة (هذه) حتى يحيل إليه، وهذا الضمير في هذه الحالة يحيل إلى سابق.

الاتّساق المعجمي:

## (١) التكرار:

يوظّف الرّمخشري التكرار في معرض نهيّه عن اتّباع الشيطان، ويقول: (( ثمّ إياك أن تنزل على طاعة هواك في الاستنامة إلى الشيطان وخطراته، والرّكون إلى اتّباع خطواته<sup>١٢</sup>)). هذه الصّورة من التكرار هي تكرار التّرادف أو شبه التّرادف Synonym or Near Synonym أي؛ تكرار المعنى دون اللفظ، ومن الملاحظ أنّ العبارة (إياك أن تنزل... الاستنامة إلى الشيطان وخطراته، والرّكون إلى اتّباع خطواته)<sup>١٣</sup> تحمل نفس المعنى وهي عدم اللجوء إلى اتّباع خطوات الشيطان. ومن الجدير بالذّكر أنّ استخدام الرّمخشري هذا التكرار يساعد على تلاحم أجزاء النّص واتّساقه كما أنّه يقدر على الكشف عن الأبعاد الدّلالية التي يُعنى بها الرّمخشري ويرغب في إيصالها إلى المتلقّي، حيث إنّ هذا التكرار يستخدمه الرّمخشري في التّأكيد عن خسارة اتّباع خطوات الشيطان.

## (٢) التّضام:

وردت الكلمات المتلازمة من حيث المعنى في هذه المقامة في قول الرّمخشري: ((شهوئك يقظي فأعْمها...))؛<sup>١٤</sup> فكلّمة "يقظي" ترد بجانب كلمة "أعْمها"، وتلازمهما يرد من ارتباطهما بعلاقة التّضاد ممّا يساعد على اتّساق النّص لدى المتلقّي. وسيفهم المتلقّي بأنّ الشّهوة شيء موجود في نفس الإنسان وعليه أن يحسن عقله في تديبها. فاستعمال التّضام يجعل النّص متّسقاً ومسبوّكاً، وهكذا تقوم فكرة التّضام بدوره في التماسك المعجمي للنّص. وقد برزت براعة الرّمخشري في استخدام كل هذه الوسائل الاتساقية في وعظ المسلمين من خلال مقاماته.

وسائل الانسجام:

سيستوعب المتلقّي معنى المقصود من هذه المقامة طبّقاً لتجاربه الخاصة وفهمه للحياة والأحياء بأنّ فترة الشّباب هي فترة زمنية صعبة ذات تحديات، ولذا، يحثّ الرّمخشري على عدم اتّباع الشّهوات في هذه الفترة فيقع في المحذور. فالمتلقّي يعلم بأنّ الفترة الشّبابية ستزول ولن تبقى، وهي من الأمور المتداولة بين النّاس والانغماس في الرذيلة والخبث والمعاصي ستجعل الإنسان يفسد تلك الطاقة في فترة شبابه. قد وظّف الرّمخشري علم البيان في وعظ المسلمين وفي الدعوة الإسلامية، ومن خلال هذا التوظيف نعلم بأنّ الرّمخشري له قدرة على جعل المتلقّي أن يستشعر مقاماته الوعظية.

## التّشبيه:

استعمل الرّمخشري في هذه المقامة التّشبيه حين قال: ((حينَ عيدانُ نشاطك تحفق))<sup>١٥</sup> فقد شبّه الرّمخشري نفسه والمتلقّي بالغصن الأخضر واستعار له أوصافه، ومن أوصافه ((وعودك رياناً. وظللك فيناناً. وخطية قدك عسالة))<sup>١٦</sup> وكلّ هذه الأوصاف للغصن الأخضر، فوجه التّشبيه هو فترة الشّباب وأوج نشاطه العمري، وقد قصد الرّمخشري من هذا التّشبيه أن يشجّع الشّباب في هذه الفترة الحرجة من العمر التي تتسم بالنشاط والحيوية والاندفاع إلى توجيه نشاطهم فيما فيه مصلحة لهم في الدنيا والآخرة، وأن يحثّهم على الصبر في مواجهة العقبات من حولهم من لوم اللّائم ((والأسنة عدالك تنطق))،<sup>١٧</sup> ((وعيون الغواني إليك رواني))<sup>١٨</sup> وغير ذلك. فالتّشبيه وظيفته الإفهام والإيضاح وهو مما يؤثّر في نفس المتلقّي ويسهم في انسجام النّص.

المجاز:

يوظّف الرّخشي المجاز في هذه المقامة في قوله: ((يا أبا القاسم شهوتك يقضى فأتمها)).<sup>١٩</sup> لقد نجح الرّخشي في إيقاظ وعي المتلقّي عبر هذا المجاز بجعل الشّهوة شيئاً حيّاً حتّى يتفاعل المتلقّي مع هذا النصّ. ويدرك المتلقّي بأنّ الرّخشي يهتم بما أراد أن يوصله، وهو أنّ الشّهوة شيء لا يتجزأ من نفس الإنسان، وهي دائماً ما تجعل الشباب ينحرفون إلى ملذّات الدّنيا من الفحشاء والمنكرات. وبفضل هذا المجاز، سيسهم في انسجام النصّ وتماسكه. وفي هذا القول ((وفي عمرو قوتك بسّالة)) مجاز ليلفت انتباه المتلقّي أو القارئ، فقد جعل الرّخشي عمراً بن معد يكرب لشجاعته وقوته. وهذا المجاز يجعل المتلقّي يفكّر بعمق في المعنى المراد من قصد الرّخشي حتّى يستطيع الوصول إليه؛ وهذه القرينة تعين المتلقّي على الوصول إلى المعنى المقصود؛ وهو تصوير صورة الشجاعة الحقيقية الجديرة بالشباب. فعمرو نموذج حقيقي لهذه الشجاعة أو القوّة. وبفضل هذا المجاز، يؤثّر الكلام في نفس المتلقّي، إذ يفهم المتلقّي قصد الرّخشي ويستطيع أن يربط المعنى بأفكار النصّ، وبذا سينسجم النصّ انسجاماً. الكناية:

يلحظ في هذه المقامة استعمال الكناية كما في قول الرّخشي: ((قبل أن تقول قد شاب القذال. وسكت العذال))<sup>٢٠</sup>: وهذه كناية عن الندم. فهذه الكناية عندما يسمعها المتلقّي، سينشغل ذهنه في تأويل معنى هذا الكلام. لقد وظّف الرّخشي هذه الكناية حتّى تؤثّر في نفس المتلقّي، لأنّ المتلقّي سيحاول أن يفهم النصّ عبر الانتقال من المعنى الظاهري للصياغة ليصل إلى المعنى غير المباشر، وهذه العملية ستجعل المتلقّي يتفاعل مع النصّ للوصول إلى قصد الرّخشي ولذا، تسهم الكناية في جعل النصّ منسجماً، فتصبح أفكار النصّ متسلسلة دون انقطاع في عقل المتلقّي بفضل فهمه هذه الكناية.

أمّا قوله في ((أكفف قليلاً من غرب شطارتك، وانته عن بعض شرارتك))<sup>٢١</sup>: ف"شطارة" كناية عن الشرّ والخبث، و"شرارة" كناية عن حدّة الغضب والعنف وظهور ذلك على التصرفات وملامح الوجه خاصة. استعمل الرّخشي هذه الكناية ليُلفت انتباه المتلقّي بأنّ فترة الشباب هي فترة زمنية صعبة ذات تحديات، ولذا، يطلب الرّخشي من المتلقّي أن يصرف شبابه في مسلك حسن، وأن لا يتبع هواه وشهوته فيقع في المحذور. لقد وظّف الرّخشي هذه الكناية حتّى يؤثّر في نفس المتلقّي؛ إذ سيقوم المتلقّي بتأمل هذا المعنى الظاهري عن طريق توظيف ما لديه من المعارف اللغوية والاجتماعية، فالمتلقّي يعلم بأنّ الفترة السّبابية ستزول ولن تبقى، وهذه الظاهرة يعرفها جيّداً، وهي من الأمور المتداولة بين النّاس في هذه الحياة، والانغماس في الرذيلة والخبث والمعاصي واللهو والفواحش ستجعل الإنسان يفسد تلك الطاقة في فترة شبابه، وسيوجهها توجيهها سلبياً، لذا حتّى الرّخشي المتلقّي بأن يكفّ عنها، ويتجنب كذلك حدّة الغضب والعنف، وهي من الصّفات المذمومة المشهورة التي يتّصف بها الشباب.

إنّ استعمال الرّمخشري عبارة ((أكفّف قليلاً من))<sup>٢٢</sup> جاءت ليلفت انتباه المتلقّي لكي يكون في تمام الوعي والحذر من الاتّصاف بهذه الصّفات الفاسدة، فالمراد الرئيس من هذا كله أنّ لا يتّصف الشّباب بمثل هذه الصّفات وأن لا يضعوا فترة شبابهم فيما يضرهم ولا ينفعهم. فيفهم المتلقّي هذا المعنى بتوظيف معارفه اللغوية. انبجست من الدّراسة مجموعة من النّتائج التي استنخلتها، وهي على النحو الآتي:

- ممّا يلاحظ في هذه المقامة، أنّ التّماسك النّصيّ يستجلي بوضوح، فقد وظّف الرّمخشري وسائل الاتّساق والانسجام توظيفاً جيّداً، فنسج مقاماته بشكل متماسك، فتتحققت نصيّة النّص بظهور هذين المعيارين، وهنا تبرز براعة الرّمخشري في الوعظ والإرشاد للمسلمين.
- وتبيّن لي استعمال الرّمخشري وسائل الاتّساق من الوصل، والإحالة، والتكرار، والتّضام، والاستبدال، فمثّل الاتّساق مبحثاً مهماً في التماسك النّصي؛ إذ يجب أن تتحقق الصحة اللغوية في النّص، والصحة اللغوية تعني أن يتسق النّص من النّاحية الصّرفية، والنّحوية، والتّركيبية، وقد ظهرت وسائل الاتّساق؛ الوصل، والإحالة، والتّضام، والتكرار على نحو بارز في مقامات الرّمخشري.
- عند تحليل هذه المقامات بوصفها نصّاً تبيّن لي أنّ الرّمخشري قد نجح في لفت انتباه المتلقّي عبر جعل هذه المقامات متماسكة عن طريق توظيفه وسائل الاتّساق والانسجام. ومن الملاحظ أنّ علم النّصّ في بحثه لنصيّة النّص يركّز على معيارين مهمّين هما الاتّساق والانسجام، بوصفهما ما يمثّل التماسك النّصيّ. ويقوم هذان المعياران بدور مهمّ للغاية في تحقيق نصيّة النّص، حيث يتناول الاتّساق مستويات النّحو، والدّلالة التي تتضمنها الرّوابط بين الجمل، وقد أبرزت وسائل الاتّساق فاعليّة مقبولة في اتّساق النّص في هذه المقامة؛ إذ تمثّلت في الوصل، والإحالة، والاتّساق المعجمي من التكرار والتّضام. ولاحظنا أنّ الإحالة بأنواعها كان لها نصيب عند الرّمخشري في مقاماته ممّا أدّى -عبر الضمائر وأسماء الإشارة- إلى ربط الألفاظ والكلمات في النّص.
- ومن الملاحظ أنّ الانسجام هو الذي يحدّد الموضوع الكلّي للنّص وهو القادر على القيام بتفسير النّص عبر السّياق، ولذا يتحقّق المعنى المراد من النّصّ. والملاحظ أنّ البلاغة تعني بالانزياح الدّلالي، ومن ثمّ، يؤدّي دوراً مهمّاً في التّواصل بين البشر، لأنّ دور المتلقّي في عملية التّواصل يتخطّى الاعتماد على الكلام المنطوق إلى اكتناه ما وراء ذلك.
- وبما أنّ الصّور البيانية من تشبيه، ومجاز، واستعارة، وكناية تسعى إلى التّأثير في المتلقّي وتمكين المعنى في ذهنه، يمكن القول إنّها ذات أبعاد تداولية.
- وتمثّلت وسائل الانسجام في علم البيان عبر عملية التفكير والتأويل، وهي ذات عناصر تخاطبية أو تواصلية، وقد نوع الرّمخشري من استعماله للصّور البيانية في هذه المقامة، فاستعمل الكناية والمجاز والاستعارة والتشبيه في سبيل الإقناع والتّأثير في نفوس المتلقّين. فهذه الصّور البيانية تندرج تحت وسائل الانسجام لأنّها وثيقة الارتباط بالتداولية، ولها دور مهمّ في إيصال المعنى للمتلقّي، وعندئذٍ يقوم المتلقّي

بفهم هذا المعنى وتفسيره، هذا إلى جانب تعلق الانسجام بعملية التفسير؛ أي كيف يفسر المتلقي النص بطرائق متعدّدة. فبرز في تحليل المقامات أهمية دور المتلقي في تحليل النص وفكّ عناصره بوساطة إدراكه للغة النص وسياقه، وهذه العملية تختلف من شخص لآخر حيث إنّها وثيقة الارتباط بثقافة المتلقي وخلفيته.

- ويتّضح أنّ الاتّساق وحده لا يمكن أن يجعل هذه المقامات نصّاً متماسكاً، فلا بدّ من الانسجام الذي يتّصف بعنصر التداولية في تفسير الأمور، فلا يمكن لمعيار الاتّساق أن يقوم بتلك العملية لأنّ الانسجام يختص بترايط الجوانب الفكرية للنص.
  - بيّنت الدّراسة العلاقة الوثيقة بين التّراث العربي وعلم النص، وهذا ما لمسناه من مساهمة علم البيان بعدّه وسيلة من وسائل انسجام النص.
  - واللافت للنظر من هذا التحليل أنّ تطبيق التماسك النصّي يصلح في هذه المقامة، ويتبدّى لي أنّ كلّ هذه الوسائل؛ وسائل الاتّساق والانسجام قد أسهمت مساهمة كبيرة في التماسك النصّي.
- وختاماً، أحمد الله الذي وفقني لإتمام هذا العمل، كما أسأله تعالى أن يجعل ما كتبتّه خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به وينفع به الإسلام والمسلمين. سائلة الله أن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى، وصلى الله على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الهوامش

- ١ الشطارة: الدهاء والخبائة والحلاعة. نقلا عن: الرّمخشري، المقامات، شرح مقامات الرّمخشري، ط١، تحقيق: يوسف بقاعي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١، ص٣٧.
- ٢ المراد بعمره: عمر بن معدى كرب، وكان يعدّ بألف فارس وجعله لقوّته عمراً من بديع المجاز وبارعه. ينظر: الرّمخشري، مقامات الرّمخشري، مقامة الإرعواء، ص٢٧.
- ٣ البسالة: مصدر الباسل وهو الشجاع الشديد العبوس. قيل: هو أبلغ من الباسر. ينظر: الرّمخشري، مقامات الرّمخشري، مقامة الإرعواء، ص٢٧.
- ٤ لات: هي لا التي بمعنى ليس عند سيبويه، زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على ثمّ وربّ للتوكيد وتغير بذلك حكمها فلم تعمل إلى في الأحيان ولم يبرز اسمها وخبرها معا ولكن أحدهما. فإما أن يقال: ولات حين مناص بالنصب يعني وليس الحين حين مناص، وإما أن يرفع على معنى وليس حين مناص لهم. وعند الأخفش هي لا نافية للجنس، والمعنى: ولا حين مناص. نقلا عن: الرّمخشري، المقامات، شرح مقامات الرّمخشري، ط١، تحقيق: يوسف بقاعي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١، ص٣٩.
- ٥ على رسلك: كن على رسلك، أو أثبت عليه. نقلا عن: الرّمخشري، المقامات، شرح مقامات الرّمخشري، ط١، تحقيق: يوسف بقاعي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١، ص٤٠.
- ٦ التنومة: نبات أسود. ثغامة: نبات أبيض. نقلا عن: الرّمخشري، المقامات، شرح مقامات الرّمخشري، ط١، تحقيق: يوسف بقاعي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١، ص٤٠.
- ٧ الميعة: النشاط والحدة. نقلا عن: الرّمخشري، المقامات، شرح مقامات الرّمخشري، ط١، تحقيق: يوسف بقاعي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١، ص٤٠.
- ٨ الرّمخشري، مقامات الرّمخشري، مقامة الارعواء، ص٢٦.

- ٩ المصدر نفسه، مقامة الارعواء، ص٢٦.
- ١٠ المصدر نفسه، مقامة الارعواء، ص٢٦.
- ١١ المصدر نفسه، مقامة الارعواء، ص٢٦.
- ١٢ المصدر نفسه، مقامة الارعواء، ص٢٦.
- ١٣ المصدر نفسه، مقامة الارعواء، ص٢٦.
- ١٤ المصدر نفسه، مقامة الارعواء، ص٢٦.
- ١٥ المصدر نفسه، مقامة الارعواء، ص٢٦.
- ١٦ المصدر نفسه، مقامة الارعواء، ص٢٦.
- ١٧ المصدر نفسه، مقامة الارعواء، ص٢٦.
- ١٨ المصدر نفسه، مقامة الارعواء، ص٢٦.
- ١٩ المصدر نفسه، مقامة الارعواء، ص٢٦.
- ٢٠ المصدر نفسه، مقامة الارعواء، ص٢٦.
- ٢١ المصدر نفسه، مقامة الارعواء، ص٢٦.
- ٢٢ المصدر نفسه، مقامة الارعواء، ص٢٦.



## المراجع

- ابن الأثير، ضياء الدين. (د.ت) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة. القاهرة - الفجالة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- بحيري، سعيد حسن. (٢٠١٠). علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات. القاهرة: مؤسسة المختار.
- ابن تغري، يوسف. (د.ت). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. مصر: دار الكتب.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (١٩٨٥). البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. (٢٠٠٨). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الخطاوي، الهادي. (١٩٩٨). قضايا اللغة في كتب التفسير. المنهج-التأويل-الإعجاز. تونس: دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع.
- ابن خلكان. (د.ت). وفيات الأعيان. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة.
- حسن، كمال عبد الفتاح. (٢٠٠٨). مقامات الزّخشي - دراسة موضوعية فنيّة. مجلة سرر مرجني. المجلد ٤. العدد ٩. السنة الرابعة. شباط، ص ٥٥.
- الحوفي، أحمد. (١٩٩٦). الزّخشي. القاهرة: دار الفكر العربي
- De Beaugrande R. and Dressler W., **Introduction to Text Linguistics**, Longman, London, 1981, pp. 14-79.
- الدّهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. (١٩٩٥). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي.
- الزّماني، أبو الحسن علي بن عيسى. (د.ت). النكت في إعجاز القرآن ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق: محمد زغلول سلام. القاهرة: دار المعارف.
- الزّخشي. (١٩٨١). المقامات، شرح مقامات الزّخشي. تحقيق: يوسف بقاعي. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- أبو زنيد، عثمان أحمد. (٢٠٠٩). نحو النص. إريد: عالم الكتب الحديث.
- السامرائي، فاضل صالح. (٢٠٠٩). الدراسات النحوية واللغوية عند الزّخشي. عمّان: دار عمّار.
- السّكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي. (٢٠٠٠). مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي. بيروت: دار الكتب العلمية.
- سلفاوي، أمّ الخير، (٢٠٠٩). البعد التداولي عند السكاكي في البلاغة العربية من خلال مفتاح العلوم للسكاكي. رسالة ماجستير غير منشورة. المغرب: جامعة قاصدي مرباح.
- السيوطي. (١٩٨٣). طبقات المفسرين. بيروت: دار الكتب العلمية.
- البغدادي، إسماعيل. (١٩٨٢). هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. بيروت: دار الفكر.

- عبد الكريم، عبد البديع. (٢٠٠٨). الدرس التّحويّ النَّصّي في كتب إعجاز القرآن الكريم. القاهرة: مكتبة الآداب.
- عبد المجيد، جميل. (٢٠٠٠). البلاغة والاتّصال، القاهرة: دار غريب.
- عثمان، رياض. (٢٠١١). تشكّل المصطلح التّحويّ بين اللغة والخطاب، دراسة صناعة المداخل الاصطلاحية في تفكير الرّمخشري. بيروت: دار الكتب العلمية.
- العسقلاني، ابن حجر. (١٩٧١). لسان الميزان. تحقيق: دائرة المعرف النظامية الهند. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- الغيث، نسيم. (٢٠٠٠). البؤرة ودوائر الاتّصال. القاهرة: دار قباء للطباعة والنّشر والتّوزيع.
- الفي، صبحي إبراهيم. (٢٠٠٠). علم اللغة النَّصّي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية. مصر: دار قباء.
- الفيروز آبادي. (١٩٨٧). البلغة في تراجم أئمّة النحو واللغة. تحقيق: محمد المصريّ. الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث.
- القفطيّ، علي بن يوسف. (١٩٨٢). إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الفكر العربي.
- الكتبي، ابن شاکر. (١٩٩٦). عيون التواريخ. تحقيق: عفيف نايف حاطوم. بيروت: دار الثقافة.
- ابن كثير. (١٩٩٧). البداية والنهاية. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. دار: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- محمد إسماعيل، نور الحانيلة. (٢٠١٨). التحليل النَّصّي في نماذج من مقامات الرّمخشري في ضوء معيار الاتّساق. دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية. مج ٤٥. العدد ١. ص ٤٨.
- الموسويّ، الميرزا محمّد باقر (١٣٩٠)، روضات الجنّات في أحوال العلماء والسّادات. تحقيق: أسد الله إسماعيليان. طهران: د.ن.
- وي، باي هونغ. (١٩٩٧). مقامات الرّمخشري دراسة تحليلية. رسالة الماجستير غير منشورة. الأردن: الجامعة الأردنية.
- اليماني، عبد الباقي. (١٩٨٦). إشارة التّعيين في تراجم النّحاة واللغويين. تحقيق: عبدالمجيد دياب. شركة الطباعة العربية السّعودية.